HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

قراءة في المساهمة الثقافية للمرأة في المجتمع

بخوتة الشيخ الصوفي[1]

1 كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل/ المغرب

تاريخ القبول: 2021/01/28م تاريخ النشر: 2021/02/01م

المستخلص

إن الاهتمام بتاريخ النساء ثقافة وتأثيرا يعتبر من أهم المسائل التي ما فتئت تشغل الباحثين في الحقل المعرفي، ذلك أن الكشف عن تاريخ المرأة، بخصوصياته، وتجلياته المميزة له عن باقي التاريخ الاجتماعي، كان ضمن أولويات البحث الأكاديمي في العالم ، ولئن كان من الصعوبة بمكان الخوض في موضوع لم ينفرد به التأليف من قبل في المجال الشنقيطي، بحيث لم تنل الثقافة النسائية بشكل عام حظا من البحث ا المعاصر، فحتى الآن لا توجد أية دراسة جادة تسعى إلى تأصيل للإرث الثقافي النسائي في بلاد شنقيط، وذلك بسبب ندرة المطبوع والمنشور من الإنتاج المعرفي النسائي من جهة، والعزوف عن القراءة والكتابة في أوساط النسوة من جهة أخرى، وإن كانت المرأة الشنقيطية تشترك مع بنات جنسها عامة فيما يتعلق بالجذور الثقافية من حيث الكليات وتتميز بأنها كانت عبر الزمن بدوية ولما يكد يستقر قرارها في ميدان الثقافة.

وفي هذا الإطار يندرج هذا المقال الذي يتناول موضوع "الاسهام الثقافي للمرأة في المجتمع الشنقيطي"، حيث يسعى هذا الطرح إلى سبر أغوار التاريخ الثقافي الشنقيطي، ومعرفة مدى تأثير المرأة في ذلك السياق، ثقافة وحضورا، حيث ينبع اختيارنا من محددين أساسيين هما: الحيز المجالي (بلاد شنقيط) ، والإطار المعرفي متمثلاً في (الاسهام الثقافي للمرأة) ، ومن ثم محاولة فهم الاشكالية الأساسية التي تكمن في البحث عن بدايات الكتابة النسائية في موريتانيا ممثلة في الانتاج الأدبي النسائي في الفترة الشنقيطية، ومدى تأثير ذلك الانتاج في الوعي الجماعي، و كيف استطاعت النخب النسائية أن تنتج في مجتمع ظل الى عهد قريب رهين القول المأثور بأن "صوت المرأة عورة، فكيف بقلمها"؟

الكلمات المفتاحية: المرأة – الثقافة – المجتمع– شنقيط –الانتاج– الاسهام– موريتانيا.

المقدمـــــــة:

إن الاهتمام بتاريخ النساء ثقافة وتأثيرا يعتبر من أهم المسائل التي ما فتئت تشغل الباحثين في الحقل المعرفي، ذلك أن الكشف عن تاريخ المرأة، بخصوصياته، وتجلياته المميزة له عن باقي التاريخ الاجتماعي، كان ضمن أولويات البحث الأكاديمي في العالم ، ولئن كان من الصعوبة بمكان الخوض في موضوع لم ينفرد به التأليف من قبل في المجال الشنقيطي، بحيث لم تنل الثقافة النسائية بشكل عام حظا من البحث ا المعاصر، فحتى الآن لا توجد أية دراسة جادة تسعى إلى تأصيل للإرث الثقافي النسائي في بلاد شنقيط، وذلك بسبب ندرة المطبوع والمنشور من الإنتاج المعرفي النسائي من جهة، والعزوف عن القراءة والكتابة في أوساط النسوة من جهة أخرى، وإن كانت المرأة الشنقيطية تشترك مع بنات جنسها عامة فيما يتعلق بالجذور الثقافية من حيث الكليات وتتميز بأنها كانت عبر الزمن بدوية ولما يكد يستقر قرارها في ميدان الثقافة.

وفي هذا الإطار يندرج هذا المقال الذي يتناول موضوع "الاسهام الثقافي للمرأة في المجتمع الشنقيطي"، حيث يسعى هذا الطرح إلى سبر أغوار التاريخ الثقافي الشنقيطي، ومعرفة مدى تأثير المرأة في ذلك السياق، ثقافة وحضورا، حيث ينبع اختيارنا من محددين أساسيين هما: الحيز المجالي (بلاد شنقيط)[1]، والإطار المعرفي متمثلاً في (الاسهام الثقافي للمرأة)[2]، ومن ثم محاولة فهم الاشكالية الأساسية التي تكمن في البحث عن بدايات الكتابة النسائية في موريتانيا ممثلة في الانتاج الأدبي النسائي في الفترة الشنقيطية، ومدى تأثير ذلك الانتاج في الوعي الجماعي، و كيف استطاعت النخب النسائية أن تنتج في مجتمع ظل الى عهد قريب رهين القول المأثور بأن "صوت المرأة عورة، فكيف بقلمها"؟

المحور الأول: المرأة في المجتمع الشنقيطي

1. المرأة المكانة والتأثير

لقد استمدت المرأة الشنقيطية (الموريتانية)، مكانتها التليدة من القيمة المعنوية والمادية التي كان يوليها المجتمع لها، وقد اكتشف ابن بطوطة خلال رحلته في القرن الرابع عشر الميلادي لمنطقة ولاته أو إيولاتن، ما تتمتع به المرأة الشنقيطية من إجلال وتقدير حين قال:«.. ولنسائها الجمال الفائق وهن أعظم شأنا من الرجال» [3]، وقبل ذلك احتلت المرأة في مجتمع الملثمين مكانة راسخة، تتجلى في ممارستها لوظائف عدة، وقيامها بأدوار مختلفة، داخل البيت وخارجه، ففي حين كانت فيه المرأة فى معظم المجتمعات الاسلامية قابعة وراء الجدران، كانت المرأة في صحراء الملثمين تشارك الرجل في كثير من الأعمال.

إن طبيعة المجتمع الشنقيطي القائمة على الترحال وعدم الاستقرار تتطلب مشاركة الجميع في العمل ومصارعة الحياة في الصحراء، فكانت المرأة تقوم بالتخييم والأعمال المنزلية والظعن [4]، كما كانت تشارك الرجل في رعي المواشي، وتساهم أحاين أخرى

([1]) بلاد شنقيط: هي إسم علم لحاضرة موريتانية تقع فى الشمال الموريتانى الحالى على بعد (460/كلم)، من العاصمة انواكشوط، وقداشتهرت بالعلم وازدهار الثقافة، ومن هنا استعير الاسم للدلالة على المجال الموريتاني الحالي.

([2]) الثقافة النسائية: مصطلح حديث النشأة، ظهر في بداية السبعينات من القرن الماضي في الغرب إثر الاهتمام بقضايا المرأة الفكرياة وسياساية وقد استخدمناه هنا للدلالة على الاسهام الثقافي للمرأة الشنقيطية لما له من تميز.

([3]) ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار إحياء العلوم، ط3، بيروت، 1987، ص. 609.

([4]) لنانى ولد الحسين، **صحراء الملثمين**، دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الاقليمى، خلال العصر الوسيط، دارالمدار الإسلامي، بيروت،2007. ص. 166.

في الحروب؛ خاصة عندما يتعلق الأمر بصد الغارات عن الحي أو المدينة التي تقطنها[5]، وهكذا ساهمت طبيعة المأوى في منع المرأة الشنقيطية من العزلة التي عرفتها مثيلاتها في المجتمعات العربية والاسلامية الأخرى، فكانت الخيمة المكان الذي يأوي إليه الجميع، سواء تعلق الأمر بأفراد الأسرة أو بالضيوف، وقد سمحت تلك الوضعية للمرأة بحرية حضور الجلسات المشتركة بين الرجال والنساء، فكانت تستقبل الضيوف في غياب الزوج وتكرمهم مع محافظتها على شرفها وعفتها [6]. وهكذا؛ فإن الشأن المهم الذي كانت المرأة الشنقيطية تقوم به، قد مكنها من أن تحصل على أغلب الحقوق التي يتوفر عليها الرجل؛ إذ تشارك في اتخاذ القرارات المتعلقة بالأمور العامة عن طريق حضورها في مجلس القبيلة [7].

غير أنه وبالرغم من ذاك؛ فإن المرأة في بلاد شنقيط وككل المجتمعات العربية، لم يكن بروزها إلى الحياة العامة مصدر إلهام لدى الناس، ولا باعثا على السرور، وإن أحيطت بكثير من التبجيل والتكريم، فهي من صغرها مكرمة مدللة وهي: "شجرة رقيقة تعهد دائما بالرعاية وتحاط بالعطف والحنان في الصغر، وفي الكبر تعنى بحسن المعاشرة والتبجيل"[8]، وهنا نورد مقولة الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين القلقمي(ت1976)[9] حين قال إن: « النساء عند عامة أهل القطر الشنقيطي كأنهن لم يخلقن إلا للتبجيل والإكرام والتودد لهن، فلا تكليف عليهن ولا تعنيف، فالمرأة سيدة البيت والرجل بمثابة الضيف عليها، ولها أن تفعل ما شاءت من غيراعتراض ولا مراقبة» [10].

وعلى هذا الأساس، تعرف المرأة في المجتمع الشنقيطي العناية التي كانت تحظى بها من الرجل، فقد ضربت الأمثال في تكريمها، وجرت الحكم على الألسن في إحسانها، ومن ذلك قول المثل الحساني: "إنهن عمائم الأجواد ونعال الكلاب"، فالجميع مطالب بأن يعطف على المرأة ويعاملها بكل إكبار وتقدير وبكل مودة واحترام [11].

وقد؛ وصلت المرأة في المجتمع الشنقيطي درجة هامة من التبجيل، جعلت المجتمع يربط صلاح الأبناء بتربية الأمهات، لذا شاع في المجتمع الشنقيطي ما اصلح عليه بظاهرة "أولاد لعليات" وهم: مجموعة من النوابغ ذكرهم التاريخ الشنقيطي، وأثروا في مجراه، وقد نسب كل منهم إلى أمه، وعيا من هذا المجتمع بأن هؤلاء الأفذاذ هم من صنع أياد أمومية، وأشهرمن لقب بأولاد لعليات: (محمذن اليدالي المكنى بابات1166هـ) الذي كان يطلق عليه "ابن امكيلاتت" و(أحمد بن العاقل، ت/1244هـ)، ويطلق عليه "ابن عيتات" و(محنض بابا بن أعبيد، ت 1277هـ) "تانيت" وجميع هؤلاء علماء فطاحلة [12].

([5]) أحمد بن عبدالوهاب النويري، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تحقيق وتعليق: مصطفي أبو ضيف، الدار المغربية للنشر، الدار البيضاء، 1985، ص. 380.

([6]) الناني ولد الحسين، **صحراء الملثمين:** دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الأقليمى، خلال العصر الوسيط، ط1، دارالمدار الإسلامي، بيروت، 2007. ص. 166.

([7]) **نفسه**، ص. 167.

(8)ا لمختار بن حامدن، **موسوعة حياة موريتانيا**، ج2، الحياة الثقافية،الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1990، ص. 197-180.

(9) الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين، **الجأش الربيط: في النضال عن مغربية شنجيط** وعربية المغاربة من مركب وبسيط، ط 1، مطابع حزب الاستقلال، 1957 .

(10) **نفسه**، ص.53

(11) محمذن بن أحمد بن المحبوبي، «المرأة الشنقيطية ونوزازل الزينة والبدانة، وقفة مع المنحنى الاجتماعي في التوجه الإفتائي»، **مجلة الوسيط**، ع 14، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 2015، ص. 3- 8.

([12]) أغل بنت عبد الله، **المرأة الموريتانية بين أسر التقليد ورياح التغيير**، بحث لنيل "الاجازة المتريز" المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، أنواكشوط، 1995-1996، ص.36.

فسيدة الخيم تتمتع بسيادة مطلقة وسلطة لامتناهية، فهي تعطي وتمنع وتبيع وتشتري وهي المسؤولة عن تدبير مدخرات البيت، ولها الحق الكامل في التصرف بلا حساب ولا معاقبة، على خلاف ما نجده لدى المرأة في المجتمعات العربية والإفريقية التى لا تستطيع التصرف في أي شيء بدون إذن الرجل، حيث يبقى هو الآمر الناهي في البيت وخارجه.

وفى الفترة المعاصرة، اكتشف الرحالة الفرنسي (ريني كايى 1838/1799) [13]، ذلك التأثير الكبير الذى تحظى به المرأة الموريتانية في محيطها الاجتماعي، حيث عبر عن تأثره البالغ وإعجابه بالمرأة البيضانية في بلاد شنقيط قائلا:« إن لهؤلاء البيضانيات من التأثير على أزواجهن أكثر لما لسيداتنا الفرنسيات»، ويتحدث "ريني كايى" عن تعلم البنات عند مجتمع البيضان موضحا أن نصيبهن من التعليم كان محدود؛ إذ يقتصر، في الغالب، على حفظ سور من القرآن وتعلم أحكام الصلاة، وبعض الأدعية، ومع ذلك توجد من بينهن بعض مثقفات.

وعموما تختلف مكانة المرأة في المجتمع الشنقيطي حسب الوسط، وما يزال انعكاس دورها في المجتمع قويا حتى اليوم، وإن كانت ثمة تحولات عميقة تجري حاليا لدى مجتمعات نساء المجتمع البيضاني، حيث تتمتع المرأة بحياة فارغة نسبيا دون الزام بالعمل، إلا في المهام المنزلية، في حين أن نساء مجتمعات البولار والسونيكي والولوف[14]، يساهمن في الأعمال المنزلية، ويشاركن في الأنشطة الانتاجية (الأعمال الزراعية، ورعاية الماشية، وغيرها..)، ويعترف المجتمع الشنقيطي للمرأة بحرية تملك المال، الذي تحوزه عند زواجها (برسم الجهاز أوالصداق أوالهدية مثلا)، وأي مال آخر تملكه ملكا شخصيا، ويمكنها مبدئيا أن تتصرف فيه كما تشاء، وأن تستصحبه في حالة الطلاق، أما لدى المجموعات الفئوية الأخرى من الزنوج، فإن الاعتراف بملكية النساء أكثر تقييدا بكثير، حيث يطلب من النساء الاستثمار في البحث عن الموارد الاقتصادية للأسرة، من خلال المساهمة في هذه الموارد بمواردهن الخاصة، وبقوة عملهن، ويطلب منها أن تشد أزرها بعمل يدها، وقد تعززت هذه العادات في أنماط الحياة خلال العقود الماضية .

ومنتهى القول إن المرأة في المجتمع الشنقيطي، مافتئت تحظى بمكانة مرموقة، وإن اختلفت تلك المكانة من مجموعة لأخرى، وحسب عادات كل مجموعة وتقاليدها، إلا أنه في الأغلب، يبقى الطابع البارز لسلطان المرأة في هذا المجتمع، وهو ما يشكل نشازا في المجتمعات الإسلامية العربية والزنجية ذات الصيغة الأبوية الحادة أحيانا، فقد سايرت المرأة الحركة الثقافية في بلاد شنقيط، رغم ما يكتنف ذلك من عوائق طاردة لأي انتاج نسائي.

2. الثقافة الشنقيطية والمرأة

عرفت "بلاد شنقيط" منذ أواخر القرن الثامن عشرالميلادي، ازدهارا فكريا أطره الدارسون في سياق ما أصطلح عليه "بالنهضة الثقافية" في المجال الششنقيطي وهي: حركة ثقافية اتخذت تمظهرات مختلفة أبرزها: ازدهارالحياة العلمية التي رمزت لها المحضرة، بأنشطتها المختلفة من غنى المكتبات واتساع قاعدة طلبة العلم [15].

([13]) زار الرحالة الفرنسي رينى كايي منطقة لبراكنة في وسط موريتانيا 1924، وقطن فيها مايربو على تسعة أشهر، حيث اختلط بالسكان وعاداتهم، فكان له بعض الآراء حول المجتمع الموريتاني والمرأة فيه، تحدث عنها في رحلاته. راجع:

-René Caillé, **Travels through Cental Africa to timbuctoo,** and Across the Great Desert,to Morocco,performed in the years,(1824-1828),Cambridge University,England, 2013.

(14) Cheikh Aidera, «la femme mauritanienne et l'histoire», journal Nouakchott , p 7-9.

(14) محمد بوز نكاض، **التواصل بين بلاد البيضان والمشرق العربي خلال القرنين 19 و20**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014، ص.147

وتعود جذور الثقافة الشنقيطية الى مؤسسة المحضرة التربوية، التي يغلب عليها طابع التنقل وراء مساقط الغيث، وتسود منهاجها متون المذهب المالكي، والتراث الأدبي واللغوي العربي الأصيل، والعقيدة الأشعرية، والتصوف السني. واللافت للإنتباه هو: تطور التعليم بالبوادي التي ورثت المكانة العلمية عن الحواضر، حيث شاع العلم كثيرا بالمحاضر البدوية، وصار أكثر نضجا وقوة بالرغم من قساوة الظروف الطبيعية، وشغف العيش وقلة الوسائل، بيد أن هذه الاكراهات المادية والطبيعية لم تحل أبدا دون اشعاع التعليم وتطور المحاضر التي شكلت قبلة للطلبة، من شتى نواحي بلاد شنقيط وغيرها[16].

لقد ساهمت تلك العوامل مع غيرها في تهيئة المناخ الملائم لتبوئ المرأة المكانة اللائقة بها في مجتمع النخبة المتعلمة في بلاد شنقيط، وذلك من خلال احتضان هذه الربوع لنهضة ثقافية بلغ صيتها اقصى المشرق العربي، فيما ساهمت بعض فتاوي العلماء الشناقطة، والتي عززت أحقية المرأة في التعلم في ظهور أهتمام نسائي بالتحصيل المعرفي على الأقل في حقلي العلوم الدينية، والأدبية. إذ، اختصر اهتمام غالبية النساء الشنقيطيات على دراسة السيرة النبوية الشريفة، ودراسة القرآن الكريم وبعض الأحكام الفقهية، وإن لم يمنعهن ذلك من أن مزاحمة الرجال على المعارف الأخرى [17].

وعلى هذا النحو حفظت النساء الشنقيطيات القرآن، ودرسن علوم النحو، والفقه والتشريع الاسلامي وسيرة الرسول ﷺ، وأنشأن محاضر ومدارس قرآنية مشهورة، وشاركن في أغلب مجالات الثقافة [18]، ولم ينقص من قيمة ذلك الانتاج أن أغلبه غير مكتوب، وأن جله يؤخذ بالممارسة والتلقين الشفهي[19]، وقد أورد الأستاذ عباس الجراري في كتابه: "ثقافة الصحراء"عشرات النساء اللائي كان لهن اسهام جلي في الحياة الثقافية، ومن بينهن صفية بنت المختار، التي كانت مدرسة وعالمة بالتجويد والتفسير والسيرة والنحو[20]،بالرغم من المواقف المتشددة من بعض الفقهاء الشناقطة، الذين كان بعضهم يرى في مجرد صوت المرأة عورة، ناهيك عما يكتنف ذلك من كبت فكري وعقلي.

3. مواقف الفقهاء من تعلم المرأة

إن نظرة الفقهاء الشناقطة، وإن انبثقت من النظرة الاسلامية بشكل عام ونظرة متأخري فقهاء المالكية بشكل خاص، والتي اعتمدت في مجملها على مبدأ تكريم المرأة ومسؤوليتها أمام الله مع مراعاة الأحكام الشرعية من لزوم الستر بالحجاب وغير ذلك؛ فإنه لا يوجد فرق كبير بين تناول الفقهاء للأحكام المتعلقة بالمرأة وبين غيرهم من فقهاء المالكية المتقدمين، وهذا ما جعل جل متأخري المالكية يعتمدون على مبدأ الستر القاضي بعدم ظهور المرأة، وهذا الستر يقتضي ضرورة إخفاء المرأة كيانا وإنتاجا، وهذا المبدأ عند غالبية فقهاء الشناقطة، لا يقبل الاجتهاد لا لشيء إلا أنه لا يجوز الخروج على تفريعات متقدمي فقهاء المالكية [21].

فقد تميز الفقه الشنقيطي المتعلق بالمرأة بميله إلى التشدد في بعض المسائل، وذلك أخذا بمبدأ: "سد الذرائع" الذي هو أصل من

(15) الحسين حديدي، **الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيظاني خلال القرنين 18 و 19م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014.، ص. 109.

(17) الخليل النحوي، **بلاد شنقيط المنارة والرباط**، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ، 1987، ص. 28.

([18]) حواء بنت ميلود، **المرأة الموريتانية بين ثنائية الاتفاق والاختلاف**، المطبعة الوطنية، انواكشط، 2002، ص. 12.

([19]) محمد ولد عبد الحي، **الجذور التاريخية للثقافة النسائية**، فعاليات الندوة حول الثقافة النسائية في موريتانيا، وزارة الثقافة، يوليو 15-16، أنواكشوط 2001، ص. 10.

(20) عباس الجراري، **ثقافة الصحراء الثقافة**، الدار البيضاء، 1978، ص. 72.

([21]) أغل بنت عبد الله، **المرأة الموريتانية بين أسر التقليد ورياح التغريب، م س**، ص. 37.

أصول مذهب الإمام مالك، وفي المقابل يميل إلى التسهيل والتوسيع في مسائل أخرى، انطلاقا من طبيعة المجتمع وذلك أخذا بقاعدة "المشقة تجلب التيسير"[22]. ومن دواع العجب هنا حين ترى أقوال الفقهاء الشناقطة والأحكام التي يذكرونها فيما يتعلق بالمرأة، ثم تقارن ذلك بواقع المجتمع، حيث نجد إخلالا كبيرا بهذه الأحكام في حجاب المرأة، وفي صلتها بالرجال مع سكوت كثير منهم على بعض المظاهر؛ حتى إن البعض يرى أن تغيير ذلك الواقع غير واجب [23] .

ومع تلك التصنيفات كان يوجد استثناء، حيث نجد بعض الفقهاء، على الأقل في المحيط الاجتماعي الضيق، قد أشادو بدور بعض النسوة في الثقافة والعلم، ومن امثلة ذلك ما اورده العالم الجليل سيدي عالي ابن النجيب ابن محمد ابن شعيب الشريف التكروري (ت1170هـ) عن ابنته عائشة بنت سيدي أعلي النجيب وهي عالمة مشهورة قرأ عليها الشيخ سيد المختار الكنتي[24]، وقرأت عليه وكانت تناقشه في الأحكام، ولك أن تتخيل ما لهذه المرأة من جسارة، لتناظر الشيخ سيدي المختار الكنتي، وهو من هو في العلم والتبحر، ومع أنها عجزت أمام الشيخ في المناظرة إلا أنه أعترف لها بالعلم والمعرفة بقوله: «... وكان للشيخ ابنة تدعى عائشة عالمة »[25] .

وقد أتيح للشيخ محمد بن أحمد المنوري السوسي، أن يحتك بالشناقطة النازحين إلى جنوب المغرب إبان الاستعمار نحو عام(1330هـ/1912م)، فلفت انتباهه واقع المرأة الشنقيطية، وسجل انطباعاته عنها في قوله:«..وفيهن أيضا عالمات أديبات، وأقلهن بضاعة في الفقه التي معها المرشد المعين لابن عاشر، وأرجوزة القرطبي، ومن الأدبيات: المعلقات السبع وغيرها من أيام العرب، وفيهن، مدرسات، وقد شاهدنا امرأة وسط نساء تملي عليهن الشيخ خليل بلا شارح؛ فخاضت في متنه وحررت مسائله أحسن تحرير، بلا تكلف في إدارة املائه، وحولها من آخذات العلم ما يزيد على ستين امرأة، كما يحضرن، أيضا، مجالس العلماء الذكور كثيرا» [26].

وقد استفسر العالم أحمد بن البخاري، عن حكم تدريس النساء حين بعث إلى الشيخ سِيديَّ الإنتشائي (1869/1284)[27] يسأله عن حكم تدريس النساء ويخبره أنهن يتوافدن على منزله يطلبن العلم، وهومايستشف منه قبول مبدئي لتعلم المرأة لدى بعض علماء القطر الشنقيطي، وانسجاما مع ذلك التوجه أفتى الشيخ سِيديَّ، في بحثه المطول بعنوان "رسالة في حكم تعليم النساء"؛ إلى ضرورة تبليغ العلم حيث لا فرق في وجوبه بين كون المتعلم رجلا أو امرأة، لأن النساء شقائق الرجال، في مطلوبية الاجتناب والامتثال، وفي لزوم التعليم والسؤال [28].

ومن هذا المنطلق، يمكن ذكر العديد من النساء اللاتي كان لهن حضور مميز في الثقافة الشنقيطية، مستشهدين بقولة الشيخ

([22]) **نفسه**، ص. 38.

([23]) **نفسه**.

[24] الشيخ سيد المختار الكنتي(1811/1727م): أحد فطاحلة العلم والصلاح في موريتانيا، وابرز شيوخ الطريقة القادرية في غرب أغريقيا.

([25]) السالكة بنت اسنيد، **الشعر النسائي الشنقيطي القديم**، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة شنقيط العصرية، انواكشوط،2008/2007. ص. 32

([26]) نقلا عن أحمد كوري ابن يابة السالكي، « مكانة المرأة المرابطية في مجتمع الدولة»، **مجلة الوسيط**، المعهد الموريتاني للبحث العلمي ع، 14، 2015، انواكشوط، ص. 53.

([27]) الشيخ سِيديَّ الإنتشائي الايبيري الشنقيطي: عالم وفقيه وشاعر، يعتبر أحد أبرز علماء موريتانيا الأجلاء، ومن بين أوائل من اهتم بفقه النوازل الاجتماعية.

([28]) الشيخ سِيديَّ الإنتشائي، **رسالة في حكم تعليم البنات**، مخطوط موجود في مكتبة هارون الشيخ سيدي، حققه، محمد بن سيدي يحيى، معهد ابن عباس، 1990، انواكشوط، ص. 12.

سِيدِيَّ من أنه:« يوجد في كل عصر من ذوات الحجال، من تفوق في العلم والدين كثيرا من الرجال»، وقد تداولت الذاكرة الشعبية العديد من النسوة اللاتي تميزن بعطائهن الثقافي، ومن ذلك ما يذكر عن فتيات مدينة "تينيكي" من حفظ الموطأ، وحفظ مقامات الحريري، ولمريم مانه بنت اللا من حفظ القاموس المحيط، وما عرف عن هند زوج الشيخ ماء العينين من علم، وعن حفيدتيه من رواية للأشعار ومشاركة في المجالات العلمية.

لكن تلك النظرة الحالمة التى تبناها بعض الفقهاء الشناقطة سرعان ماتلاشت أمام شمولية الانتاج الذكورى وطغيانه، وتهميش الحضور النسائي عموما على المستوى الثقافي، سواء بتقنين انتاجها داخل البيت، أوبعدم الأرتقاء بذلك الانتاج –إن وجد– الى مرحلة المنافسة ومن ثم التدوين، بل وحتى احتكار هذا الانتاج على فئة دون أخرى، نظرا لعوامل ذاتية وسياسية [29].

وعلى هذا الأساس؛ فإن النخبة النسائية التي ولجت باب التعلم، كن من ذوات العوائل الراسخ قدمها فى العلم ومجال المعرفة، لأن المجتمع الشنقيطي مجتمع أبوي يسيطر فيه إنتاج الرجال، ومن ثم تم تكريس شأن المرأة فى الحياة الأسرية، وخدمة البيت.

وعموما بدت المرأة الشنقيطية من خلال التصور الفقهي شبه مغيبة في كتابات المؤلفين الشناقطة، إلا ما كان من ذكر شحيح لبعض من أثرن في الثقافة الشنقيطية، ولا يعدو ذلك التغييب سوى صورة مصغرة لتمثلات الوعي الجماعي حول المرأة، فتلك التمثلات المجتمعية تشكل الرؤية العامة التي تسكن في مخيلة عامة الناس، وفي ثنايا الفكر والأدب والفن[30]. وبالرغم من ذلك فقد وجد الانتاج الثقافي النسائي طريقه إلى النور في القرون الأولى لتنامي الثقافة ة في ربوع الصحراء الشنقيطية .

المحور الثاني: الاسهام الثقافي للمرأة الشنقيطية

1. الاهتمام النسائي بالتأليف

لقد احتفظ التاريخ الثقافي الشنقيطي بأسماء بعض النسائي اللاتي تألقن في سماء المعرفة؛ فخطت أناملهن أولى بوادر الكتابة النسائية في المجتمع الشنقيطي، وهكذا تصدرت العديد من النساء العالمات للمشيخة المحضرية، بل حتى أن بعضهن وصلن إلى مرتبة القضاء، وأستطعن أن يجلسن للتدريس ويناظرن العلماء والفقهاء. ومن هذا المنطلق صنف الباحثون الاهتمام النسائى بالثقافة الشنقيطية الى ثلاثة صعد [31]:

أولاها: دور المرأة في التعلم والتعليم، وفيه يمكن التعرف على النساء اللواتي وصلن إلى مستوى معرفي سمح بذكرهن في عداد العلماء وممارسي التدريس المحضري، من مثيلات هذا الصنف: خديجة بنت العاقل، ولالة عيشة بنت أعلي الأزرق، زوج الشيخ سيدِي المختار الكنتي، وزوج الحارث بن محنض بن سيدي عبدالله الشقراوي، وغيرهن.

وثانيها: علاقة المرأة بالموروث الثقافي المكتوب: ويهتم هذا التصنيف في من طرقن باب التأليف وهن نزر يسير، أو من

([28]) حيث اقتصر الانتاج المعرفي خلال هذه الفتره، على فئة الزوايا، نظرا لاحتضانها للعلم والثقافة، واشتغال الفئات الأخرى، إما بمهمات حربية (حسان)، أو يدوية (الصناع)، وقد أثر هذا التقسيم على المرأة، فاصبحت كل فئة تشتغل بما خول لها. وتميزت نساء الزوايا بالقراءة، فهن يشاركن الرجل في التعلم والتعليم .

([29]) بورغدة وحيدة وآخرون، ا**لمرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية**، سلسلة كتب المستقبل،(70)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2014.، ص. 44.

(31) ، ولد سيدينا (محمد المختار)، «ماهية الثقافة الموريتانية وإسهام المرأة فيها»، **مجلة الموكب الثقافي**، للجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم، مارس، 2009، ص.27– 28، ص. 27.

خضن غمار الشعر العربي الفصيح الأوسع دائرة نسبيا من المؤلفات [32]، ومن كتبن النثر الأدبي مثل: خديجة بنت أحمد بن بكيا الشقراوية، أقدم امرأة كتبت في المقامات في السيرة النبوية. ومن تصنيفات الباحثين للأدب النسائي التحشية ونقل الكتب: وهو نشاط معرفي طرقته المرأة الشنقيطية، و إن على نطاق ضيق، لا يتجاوز النماذج المعروفة منه حتى الآن عدد أصابع اليد الواحدة [33].

لقد تعددت مجالات الحضور الثقافي النسائي، وإن انحصر المنتوج الثقافي النسائي في مجالات بعينها؛ (العلوم الدينة والأدب بشقيه الفصيح والشعبي) ذلك أن ثقافة البلاد كانت استيعابا وترجيحا، أكثر منها خلقا وإبداعا، ومع ذلك لا يمكن إغفال الموروث الأدبي النسائي الذي كان علامة هامة في التاريخ الثقافي للشناقطة بالرغم من أن القليلات هن اللاتي كتبن وألفن، إذ، توجد بعض الشواهد الحية على غنى المنتوج النسائي (شعرا ونثرا)، والذي شكل فيما بعد بواكير الكتابة النسائية التي تميزت بعطائها وعمقها المعرفي.

إن هذا المقال لا يستطيع أن يطال كل الأيادي النسائية التي ساهمت في الثقافة الشنقيطية، وذلك لشح المعلومات من جهة، وندرة الكتابات حولها من جهة أخرى؛ لذا سنعمل على اختيار بعض النماذج النسائية، في حقلين ثقافيين هما: التأثير النسائي في العلوم الدينية، والمساهمة الأدبية للمرأة (شعرا ونثرا).

– ففي مجال العلوم الدينة: نذكر على سبيل لا الحصر: خديجة (أوغادجة) بنت العاقل[34]، وفاطمة بنت محمد محمود بن عبد الفتاح الملقبة توت بنت الداه [35]، وآمنة بنت الطالب محمد [36]، وهند بنت حَمَد الله المجلسية [37]، وحاجة بنت ابن عبدم

([32]) محمد المختار ولد السعد، **الثقافة النسائية في موريتانيا، م.س**، ص.27.

([33]) **نفسه**، ص. 26.

(33) خديجة (أوغادجة) بنت العاقل: عالمة موريتانية شهيرة، تبحرت في المنطق، وتفوقت فيه، وأصبحت تقول للشيء البديهي (هو الضروري عندنا كالمنطق)، فقد روت الكاتبة حواء بنت ميلود عن المختار بن حامدن، قصة تعلق خديجة بهذا العلم، رغم أنه أشد أنواع العلم تعقيدا، وذلك عندما تعلقت بكتاب (شرح الولالي) على مختصر السنوسي في المنطق، مما اضطر والدها إلى شرائه بثمن باهظ. وقد ألفت كتابها المشهور بالمنطق (احمرار الطرة) وتقول فيه محددة مفهوم المنطق: المنطق يسمى كذلك؛ لإنه يعين النفس الناطقة على اكتساب المعلومات..."، هذا وقد تصدرت خديجة محضرة كبيرة تخرج منها علماء أجلاء أمثال: أخوها أحمد بن العاقل (ت1244 ه) والمختار بن بونا الجكني (ت 1230هـ– 1815م) والمامي عبد القادر (ت1221ه) زعيم دولة فوته السنية، وقد توفيت خديجة بنت العاقل رحمها الله (1251 ه) وخلفت وراءها العديد من المؤلفات من أهمها:

– أم البراهين شرح في العقيدة الأشعرية .

– طرة على سلم الإمام الأخضري في المنطق، وتوجد هذه الطرة محفوظة في قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت الرقم 755. راجع: السالكة بنت اسنيد، **الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س**، 22.

([35]) فاطمة بنت محمد محمود بن عبد الفتاح الملقبة توت بنت الداه: عالمة ومدرسة، ومؤلفة، وشاعرة وخطاطة، اشتهرت بجمال الخط لدرجة جعلت الشيخ سيدي الكبير عند ما رأى خطها يغض عنه بصره لحسنه، ويقول قولته الشهيرة "المرأة كلها عورة"، اشتغلت بنسخ الكتب، فنسخت الكثير من المؤلفات أهمها:

– كتاب العقيدة الصغرى في التوحيد لمحمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ) وهو نظم لابنها محمد محمود بن الحسن .

– كتاب الستر الدائم للمذنب الهائم للشيخ محمد فاضل بن مامين (ت1286م) رسالة في التصوف للشيخ سيدي بابا.

([36]) آمنة بنت الطالب محمد:عالمة وخطاطة، نسخت نسخة نادرة من نظم مالك بن المرحل المسمى (التلويح)، وهو موجود بخطها في دار الكتب المصرية وهي النسخة التي كتبتها لمحمد محمود ولد اتلاميد. السالكة بنت اسنيد، **الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س**، ص. 23.

(6[3]) هند بنت حمد الله المجلسية: ولدت في ضواحي أكجوجت سنة 1851، اشتهرت بتدريس المتون المحضرية التي قل من درسها من النساء، فقد ذكر المؤرخ المختار بن حامدن: أن زوجها محمد حبيب الله بن أبوه بن محمد سالم، كان يرجع إليها في حل النوازل المستعصية، تخرج على يديها كثير من المشاهير من بينهم أبناؤها ومنهم: حبيب الله رئيس المجلس العلمي الأعلى في لعيون في المغرب، ووكيل الملك سابقا في الداخلة، وقد صحب رحمه الله معظم آثارها معه إلى المغرب، ومنها:

الديمانية [38]، وفاطمة بنت محمد بن بلاه عبد القادر[39]، ومريم بنت الأمين ولد الحاج الشقروية [40]، ومريم السالمة بنت بدي الإنتابية [41]، ومريم السالمة بنت أحمد لعبيد الناصرية [42]، وفاطمة بنت الطالب أحمد ولد محمد راره التنواجيوية [43].

إن تلك النسوة العشر ماهي إلا أمثلة، بالرغم من وعينا باحتضان الثقافة مجالات كثيرة غير"عالمة" تندرج في ما يعرف بالفولكلور والفنون والتقاليد الشعبية، كالزخرفة المعمارية في مدينة ولاته مثلا، والشعرالشعبي(خاصة جنس التبراع)، والفنون الأصيلة ذات اللمسات الرمزية (كالحناء، وتطريز الثياب، وتقليعات الشعر) والصناعة التقليدية (رقم المخدات، توشية أدوات الشاي، إلخ)، وفنون الرقص بأبعادها ودلالاتها الثرية، والموسيقى بصنوفها ومقاماتها ذات التلوين النفسي والاجتماعي، والأبعاد الفلوكلورية الأخرى من العاب، والوان وغيرها [44].

* أما في مجال الإسهام الأدبي: فهنالك نماذج كفيلة بالتأكيد على تأثير المرأة في الثقافة الشنقيطية ومواكبتها للنهضة الأدبية التي شهدتها بلاد شنقيط، فلم تكن مريم بنت أحمد بزيد الباركلية (ت1111هـ) و مريم بنت الأمين الحاج الشقروية (ت 1276هـ) ، وخديجه بنت آدبه الكنتية [45]، ومريم بنت رجال الحسنية (القرن 13هـ)[46]، ومريم بنت محمذن ولد أمبارك ولد تفا الحسنية (ت 1972)[47]، وميم بنت سيدي أحمد ولد أغشممت المجلسية [48]، ومريم بنت حِينُ الجكنِّية[49]، إلا نماذج مهمة لنساء

– شرح الريان على أسماء الله الحسنى، وأجوبة لبعض الأسئلة التي كانت تمتحن بها طلابها توفيت رحمها الله عام (1393هـ –1973م) عن عمر بلغ 102، قضت جلها في التدريس والدراسة داخل محضرة أهل محمد ولد محمد سالم. راجع: السالكة بنت اسنيد، **الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س**، ص. 24.

([38]) حاجة بنت ابن عبدم الديمانية: ولدت 1938 في ولاية ترارزة في الجنوب الموريتانيا، وهي والدة الباحث الجليل المرحوم جمال ولد الحسن، من مؤلفاتها:(تحفة الحفاظ لما يتكرر في القرءان الكريم من الألفاظ).

([39]) فاطمة بنت محمد بن بلاه عبد القادر: عالمة ومدرسة في محضرة الإمام مالك بن أنس قسم النساء في أطار، – شمال موريتاني– لها العديد من الشروح والمؤلفات من أهمها: نقلة في التوحيد، نقلة على شرح أسهل المسالك، شرح على قرة الأبصار، شرح على الأربعين النووية). توفيت رحمها الله في الثاني من رمضان 1417هـ الموافق 16 فبراير 1996 عن عمر بلغ ست واربعين سنة.

([40]) مريم بنت الأمين ولد الحاج الشقروية: عالمة وشاعرة في جميع الفنون، اشتهر عنها أنها تساجل العلماء في الفقه والأدب، من مؤلفاتها: (شرح على كافية محمد بن مالك في النحو موجودة بخطها)، توفيت 1276هـ. مقتبس من: السالكة بنت اسنيد، **الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س**، ص23.

([41]) السالمة بنت بدي الانتابية: من أهل المعرفة، قد عرفت بحسن الخط، ويوجد أحد مخطوطاتها بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، توفيت 1988.

([41]) مريم السالمة بنت أحمد لعبيد الناصرية: عالمة تقية خبيرة بتفسير القرءآن، قال عنها بابا ولد الشيخ سيديا، أنه لا توجد آية من القرءان الكريم إلا مريم السالمة تعلم معناها ومدلولها، توفيت رحمها الله حوالي 1940.

([42]) فاطمة بنت الطالب أحمد ولد محمد راره التنواجيوية: عالمه ورعة، اشتغلت بنسخ الكتب، توفيت مطلع القرن العشرين. السالكة بنت اسنيد، **الشعر النسائي الشنقيطي القديم، م س**، ص. 25

([43]) محمد المختار ولد سيدينا، **ماهية الثقافة الموريتانية وإسهام المرأة فيها، م س**، ص. 32.

([45]) خديجه بنت آدبه الكنتية: تعد شاعرة مرموقة من أولاد سيد الوافي، ولها ديوان شعر يشرف على تحقيقه الأستاذ الشاعر الدي ولد آدبه، وتسمى خنساء تكانت.

([45]) مريم بنت رجال الحسنية التي مدحت الشيخ سيدي بقصيدة توصف بالعصماء، بال بالرغم من أنها لم يعثر عليها حتى الآن، وقد بهرته واعجبته .

([46]) مريم بنت محمذن ولد أمبارك ولد تفا الحسنية: عاشت خمسة وتسعين سنة، انفقتها في طلب العلم، وتعليم الطلاب ومساعدتهم على اكتساب العلم في محظرة زوجها العالم الجليل محمد الأمين ولد أحظانا، وكانت حفظ القرآن العظيم. راجع: السالكة بنت اسنيد، **الشعر النسائى القديم، م س**، ص. 33

([48]) ميم بنت سيدي أحمد ولد أغشممت المجلسية: هي والدة الشيخ محمد فال بن أبَّتَهَ المشهوربالعلم وجودة الشعر (ق 13هـ) .

([49]) مريم بنت حِينُ الجكنية: اشتهرت بالتمكن من القرآن وعلومه، وفي الفقه والنحو والسيرة والتوحيد والعقائد، تعد من أهم الشواعر الشنقيطيات. انظر: السالكة بنت اسنيد، **الشعر النسائى القديم، م س**، ص. 33.

خرجن عن طوق التقاليد وقهرن العادات وهيمنة الإنتاج الذكوري [50]. لقد تفاوتت غزارة الانتاج الأدبي لدى النساء، إذ يوجد منهن من تمتلك ما يمكن أن يطلق عليه اسم ديوان، كما هو الشأن بالنسبة "لِيمُّه بنت سيدى الهادي اليدالية"، حيث يعتني أفراد أسرتها بجمع أشعارها وحفظها[51]، ومنهن من أهمل الانتاج، فلا تكاد تجد منه إلا النزر القليل.

ونأخذ هنا مثالا للمخطوطات النسائية التي كانت تطرق مختلف العلوم الدينية من فقه وتصوف وتوسلات، حتى تصل احيانا الى فتاوي ونصائح للعامة والخاصة، وقد تصل إلى مجاراة بعض العلماء الكبار. ويوضح المخطوطان التاليان نموذجا للكتابة النسائية، ممثلا بقصيدة لمريم الشقراوية وهي تثني على الشيخ سيديَّ وعلمه، والنموذج الثاني يمثل نصيحة عامة في أمور الدين، لفاطمة بنت عبد الفتاح الابيرية، وقد حصلنا على هذان المخطوطان من خلال مجهودنا الخاص، وبالتعاون مع بعض الباحثين في الميدان:

المخطوط (1):

مخطوط لفاطمة بنت محمد محمود بن عبد الفتاح

المصدر: مكتبة أهل أحمد زروق، أنواكشوط.

المخطوط (2):

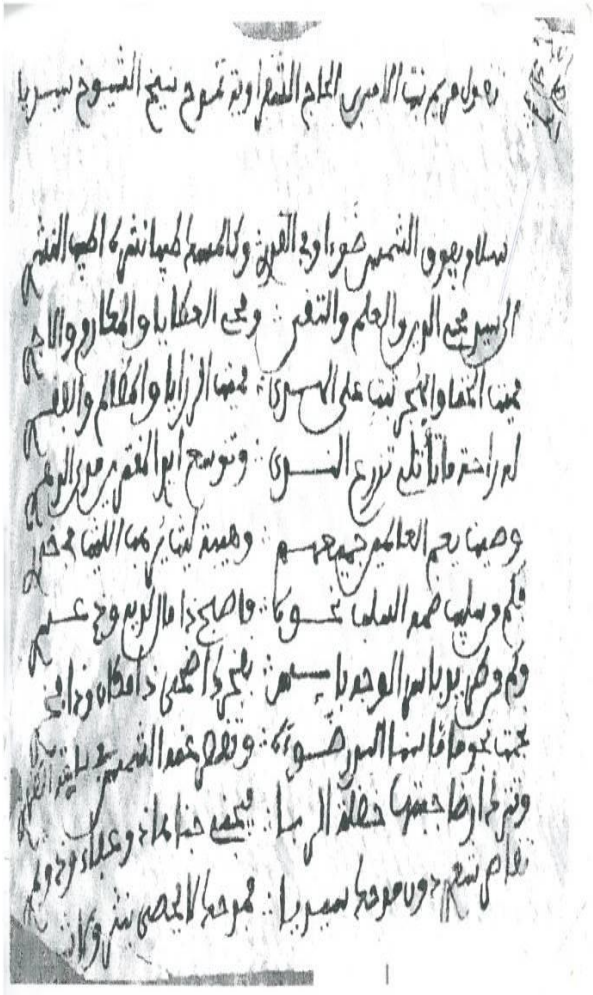

مخطوط لمريم بنت الحاج الشقراوية، وقد امدحت فيه الشيخ سيديا الكبير، ورد عليها بأن المرأة كلها عورة، لجمال خطها. المصدر: أحمد ولد حبيب الله. مقابلة سابقة.

(50) السالكة بنت اسنيد، (1959)، مناضلة وكاتبة صحفية، أجريت المقابلة معها في: انواكشوط، 2016//02/7.

([51]) كما روي عن الشيخ سيديَّ الكبير عندما أنشدته مريم بنت الأمين بن الحاج الشقراوية، قصيدتها في مدحه بخطها. راجع هذا المخطوط في ملحق المخطوطات في هذا البحث، ص. 242

2. عوائق الانتاج الثقافي للمرأة

انطلاقا من ما سبق، ووعيا منا بضرورة فهم الاسباب الكامنة وراء ضعف الانتاج الثقافي للمرأة نجمل هنا أهم العوائق التى ساهمت فى ضمور الانتاج النسائي في المجتمع الشنقيطي فيما يلي:

– طغيان العرف الاجتماعي وموروثه الذي لا يرى للمرأة أهلية في التعلم، إضافة إلى بعض الفتاوي الفقهية المتحجرة التي تذهب إلى حد تحريم تعلم الكتابة على النساء، وربما بنى أصحاب هذا الرأي موقفهم على الأثر "علموهن الغزل والخياطة ولاتعلموهن القراءة والكتابة"، والواقع أن أكثر المحققين نفى صحة هذا الأثر، ورأى أنه يتناقض مع ما جاءت به الشريعة من الحث على العلم دون تفريق بين الرجل والمرأة، بالرغم من أن أغلب علماء القطر الشنقيطي لم يكن، غائبا، عن أذهانهم ضرورة تعلم المرأة، باعتبار ذلك مطلبا شرعيا.

– كما ساهم التقسيم الوظيفي في المجتمع الشنقيطي، وحياة البداوة والظعن، ومن ثم السعي وراء تحصيل لقمة العيش وتحكم سلطان العرف والعادة في الكثير من ممارسات المجتمع، والتي كانت تعيق انتشار الثقافة النسائية عموما.

– ظاهرة السمنة أو التسمين القسري(لَبْلُوحْ) [52]، والتي طغت على المجتمع الشنقيطي منذ نشأته وإلى وقت قريب، والتي تعتبر عاملا أساسيا في ضمور انتاج المرأة، حيث يعتبرعامل التنشئة البدنية وما يجلبه من التركيز على مظهر المرأة وزينتها، أهم الأسباب التي أبعدت المرأة الشنقيطية عن ميدان التعلم واكتساب المعارف.

– البعد الجغرافي:حيث أن اغلب الأصوات العربية والغربية التى نادت بتحرير المرأة، وتمييز إنتاجها عن الرجل لم تكن قد وصلت بعد الى بلاد شنقيط ساعتها، نظرا إلى متانة القيم الاجتماعية والثقافية التى حالت دون وصول ذلك الفكر إلى المرأة. ومنه فقد عانى الموروث الثقافي النسائي نقصا حادا، في مجال الطرح والتوثيق، الأمر الذي أدى به إلى الاهمال، شأنه في ذلك شأن الكثير من معالم التاريخ الثقافي الشنقيطي، الذي بقي الكثير منه مطمورا.

3. صورة المرأة في الثقافة الشنقيطية

إن استجلاءنا لصورة المرأة في الثقافة الشنقيطية، أعطانا مجموعة من الملحوظات لعل أهمها: قلة الانتاج الثقافي بالرغم من اسهام بعض النساء في الثقافة الشنقيطية، لكن ذلك الانتاج بيقي ضعيفا، نظرا للتركيبة الاجتماعية المعقدة التي كانت قائمة على ثنائية الزاوي والحساني، والتي كانت تحصر كل من نساء الفئتين في زاوية معينة يطغى عليها الجانب الوظيفي عادة، ففي الوقت الذي توجد في فئة الزوايا[53]، لوائح طويلة تخلد انتاج الرجال(علماء وفقهاء)، تكاد تنعدم أي آثار للانتاج النسائي في الحقل الثقافي إلا ماكان من ذكرنادر [54].

---

(52) لبلوح: هوالتسمين القسري والسريع، حيث كلنت تجبر أغلب الفتيات على هذه الوضعية.

([53]) كانت فئة "الزوايا" دون غيرها الحاضنة للثقافةالشنقيطية؛ إذ لا يكاد يوجد ذكر منهم ولا أنثى إلا يقرأ ويكتب، على حد تعبير صاحب كتاب الوسيط، فيما يرى المختار بن حامدن: أن المرأة في فئة الزوايا تجاوزت مرحلة القراءة البحتة إلى مشاركة الرجال في جميع الفنون مع الصيانة وعدم التبذل، لذا كانت المرأة تلتحق بمحضرة حيها مبكرا وتتلقى المعارف كما يتلقاها الرجل.

([54]) أحمد بن الأمين الشنقيطي، **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، مكتبة الخانجى، ومؤسسة منير، ط4، القاهرة، 1989، ص. 268.

ويعود ذلك إلى عدم اهتمام المجتمع عموما، والأسرة التي نشأت بها المرأة إلى تعليم النساء، والأمر هنا ينطبق على مختلف فئات المجتمع الشنقيطي –على الأقل– فى الفترة التي نحن بصدد دراستها، فالمحظوظات من النساء هن اللاتي أستطعن أن يحفظن أجزاء من القرآن، وبعض المبادئ في الفقه والسيرة.والأمر، في مجمله، لايعدو أن يكون معرفة ما يحفظهن من المس والشياطين، و من ثم فهم بعض الأحكام الفقهية، هذا بالنسبة للفئات المجتمعية ذات الطابع الديني والثقافي(الزوايا مثلا)، أما الفئات المجتمعية الأخرى، فتقبع المرأة فيها في ظلام دامس من الجهل، حيث تطغى الاهتمامات الحربية أو السخرة على نسائها.

ومن خلال تلك التمثلات السابقة تبدو صورة المرأة ضعيفة في المخيال الجماعي، وفي ثقافة النخبة المتعلمة الشنقيطية، إذ، أنه في جميع الحالات يجب أن تكون المرأة تابعة للرجل، خاضعة لهيمنته [55]،لا بل تكون في حالات عدة، مؤمنة ومدافعة ومتعصبة لسلطته وشرعيته وهيمنته.

وقد أوضحت الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي في تقديم روايتها: "أحلام نساء الحريم"[56]، أن مفهوم الحريم في التمثلات الثقافية لدى المجتمعات العربية وهو ماينطبق على المجتمع الشنقيطي، هو مفهوم يوحي بالفراغ، بفراغ داخلي، حيث يحق للنساء أن يكن، وفراغ خارجي ذكوري تقصى منه النساء[57].

إن أبرز ملامح هذه الصورة كانت تختزل المرأة في ما أصطلحنا على تسميته "بالمرأة الفتنة"؛ ففي عيون الرجال الذين هم أرباب القلم لاتعدو المرأة سوى مصدر للمتعة؛ أي أن مصدر أهميتها الأول يكمن في الجانب البيولوجي وليس الثقافي[58]، فالمرأة تكون مثالية عندما تكون قابعة في بيتها لا تغادره، حيث تتفرغ للشؤون الخاصة من طبخ وتنظيف وتربية أطفال، وهو ما يؤكده المقول التقليدي المأثور في المجال الشنقيطي «المرأة من بيتها الى قبرها».

إن صورة المرأة فى المخيلة الجماعية الشنقيطية، لم تكن وحدها التى تحول دون ولوج المرأة إلى دنيا الحرف، فلم تكن صورة المرأة لنفسها بأحسن حال، فكانت تتقاسم الكثير من الملامح والسمات مع الصورة التي رسمها الرجل لها، فجاء خطابها رجع صدى لخطابه، فهي تنتقص حقها وذاتها دون أن تعلم، ومن دون أن يتاح لها في ذلك الخيار، فأحيانا تتكلم على المرأة بلسان رغبات الزوج، وأحايين أخرى بلسان قوانين القبيلة والعشيرة، وأخرى بلسان الدين.

وعلى هذا الأساس، فالتعبير النسائى هنا يتحول إلى كيفية لا شعورية تعبر عن البناء الرمزي الخفي للثقافة، مما يدل على قوة الهيمنة وقدرتها على الاخضاع والتطبيع من دون مواجهة أدنى مقاومة من الطرف المهيمن [59]، وإن كانت التراثيات الثقافية الشنقيطية دأبت على ترسيخ هذا النمط من التفكير، إلا أنه يمكن أن نجد العديد من الصور المغايرة والتي تبدو أكثر إنصافا بالنظر إلى المرأة وطاقتها الانسانية، ووظائفها الاجتماعية، وأدوارها الإنتاجية والثقافية، وهو ما صنفناه في إطار الاستثناء، باحتفاظ التاريخ الشنقيطي بأسماء بعض النساء اللاتي تميزن بعطاهن الثقافي، بالرغم من ضعفذاك العطاء، موازاة بما انتجه الرجل.

إن إجراء موازنة بين ما كتبه الرجال وبين ما كتبته المرأة، تظهر أن المجتمع الشنقيطي في انتاجه الثقافي كان ذكوريا بامتياز؛ إذ أن ما اندرج في سجالات الأدب النسائي، لا تتجاوز موضوعات عبرت فيها المرأة عن سلوكها الاجتماعي المتسق مع

([55]) Simone Beauvoir, **Teh second se: the woman as other**, Vintag Classics, New York, 1997. P.207.

([55]) فاطمة المرنيسي، **أحلام النساء الحريم**، ترجمة ميساء سري، ط1، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق،1997، ص. 214–227.

([56]) بورغدة وحيدة وآخرون، **المرأة العربية، م س**، ص. 45.

(57) بورغدة وحيدة وآخرون، **المرأة العربية، م س**، ص. ، ص.46.

(59) **نفسه**، ص. 45.

طبيعتها البيولوجية [60]، فكانت الاهتمامات في أغلبها ذاتية تتمركز حول الرجل واهتماماته، إضافة إلى العناية بالبيت وشؤون الأسرة، وكل هذا من أجل الحفاظ على البنية الاجتماعية السائدة. إن تهميش وإهمال الإنتاج النسائي يعد عاملا أساسيا في ندرته، حيث أن المجتمع مافتئ ينظر إلى المرأة على أنها "ناقصة عقل ودين"، حيث ظلت تلك النظرة لفترات طويلة قابعة فى الوجدان الجماعي.

وبالرغم من اختلاف وتباين عوامل اهتمام المرأة الشنقيطية بالأدب، فإن الأمثلة السابقة التي أوردناها، تبين أن ما يتعلق منه بالحوادث واللحظات التاريخية المهمة بقي مسجلا، ويستخدمه كتاب التاريخ لتعزيز آرائهم المختلفة حول الأحداث[61].

فى حين بقي الأدب اللصيق بالهموم النفسية والوجدانية للمرأة، خاصة فيما يتعلق منه بالشعر الفصيح، والانتاج الفكري، والمواقف من السلطة والمجتمع طي الكتمان، وهذا ما يجعلنا نتحفظ على مصطلح ثقافة نسائية في بلاد شنقيط بالمفهوم الأشمل للثقافة، وإن وجدت بعض ملامح الانتاج النسائي والتي لم يكشف عنها بصورة شاملة، مالم تتضافر جهود الباحثين والباحثات من أجل غربلة ثقافتنا الشعبية من صنوف الأحكام المسبقة، ومن ثم الحفاظ على بقايا الإرث الانساني الثقافي الشنقيطي المهدد بالضياع، والذي من ضمنه الانتاج النسائي، الذي بقي محدود التداول، فلا نراه مستخدما في الدرس المحضري الأدبي، ولاضمن الشواهد التي يستعان بها من حين لآخر، وهو ما أدى بكثير منه إلى الاندثار. وجملة القول: إن مصادر الصورة الثقافية عند المرأة الشنقيطية مازالت مشوشة، ترتهن الماضي وتركن إليه، وإن تميزت برقة لغتها ورخاوة الأصوات لديها.

(59) فرح الفاضلي، **الذكورة والأنوثة في القرآن الكريم**، ط1، بيروت، 2018، ص. 27.

(60) السالكة بنت اسنيد، **الشعر النسائى القديم، م س**، ص. **37**

الخاتمـــــــة

ومن ماسبق يتضح ومن خلال المعلومات المتاحة أن المرأة الشنقيطية كان لها حظ من الثقافة المكتوبة المتداولة في الوسط الاجتماعي الشنقيطي، وإن كان يصعب تقويمه ما لم يتم جرده جردا شموليا وتمحيصه ودراسته، دراسة علمية جادة، تنأى عن الاغراض والمصادرات الجاهزة والآنية. وبالتالي فإن المرأة الشنقيطية قد ولجت دنيا الحرف، بالرغم من ممارسة المجتمع عليها اصناف الحجب والمنع، مما اضطر النساء إلى تمرير انتاجهن عبر والوسائط المتاحة، والتي كانت جد محدودة. إذ، أن اعتلاء المرأة للمنابر الثقافية بمختلف دلالاتها واصنافها، قد يعرضها في نظر المجتمع الشنقيطي المحافظ حد الانغلاق، إلى أقسى الأحكام.

إن الفكر والعادات هي العقبات التي رسخت في المرأة الشنقيطية ، الانحطاطية والشعور بالدونية والعجز وكسرت ثقتها بنفسها، وبترت منها حاسة المسؤولية خارج نطاق الخيمة الضيق، ولئن كانت النماذج السابقة قد خرجت عن طوق المعهود في الثقافة، وخلقت نخبة نسائية فاعلة في المشهد الثقافي الشنقيطي وإن كنا خلصنا إلى ضآلة وضمور الانتاج الثقافي النسائي في الفترة الشنقيطية، وذلك نتيجة لاسباب اجتماعية وفكرية ذكرناها سابقا، لكن فالمقابل لايمكن ان نغفل عن بعض الاسهامات الثقافية التي شكلت بداية الكتابة النسائية في المجتمع الشنقيطي على وجه التحديد والموريتاني عموما.

وإذا كنا نتفق مبدئيا على ضعف المشاركة والحضور النسائي في المشهد الثقافي الشنقيطي بشكل عام، على الرغم من وجود طاقات ومواهب نسائية، أهلت المرأة إلى خوض ميادين الفكر التي كانت حكرا على الرجال، إلا أن الانتاج الثقافي النسائي ، وبالرغم من تلك العراقيل قد تغلب على ذاته، لأن فيه تلتقي الثقافة بالتاريخ والحضور بالموهبة، فالمرأة الشنقيطية تصوغ لغتها بشكل مختلف – وإن على مضض– عن أشكال لغة كتابة الرجل، سواء تعلق الأمر بالكتابة المخطوطة أو أشكال الكتابات الأخرى.

وهكذا عملت المرأة الشنقيطية على اظهار نفسها بشكل مغاير، لكي تغرس الصورة التي تحملها عن ذاتها، وهو أمر جعل العديد من الباحثين يُقر بأن المرأة في موريتانيا شنقيط تمتلك لغة لامتناهية، الصياغة والرموز، لأنها تمتلك سلطة هائلة تتمثل في قدرتها على الوصول الى المتلقي بل وإقناعه، لكن تلك الرموز لم توظفها في الآن نفسه من أجل اثبات ذاتها المستقلة، وإن كان يحسب لها دخولها إلى ساحة المشهد الثقافي الشنقيطي مبكرا، والذي طغى عليه الانتاج الذكوري ردحا طويلا، الأمر الذي ساهم في تتبنى النخب النسائية للخطاب الذكوري، من حيث الطرح والرؤى، وكأن المرأة الكاتبة تنتج من أجل إرضاء وجذب أنظار الآخر.

لقد كانت السمة الغالبة على اكثر االكتابات النسائية؛ الانغلاق شبه التام، فالمرأة لا توظف العديد من المعطيات في الابانة عن المعاني التي تصبو إليها، وبناء عالمها الخاص الممتلإ بالصور التي تحاكي فيه واقعها، حيث بقيت مستويات الحضور لديها ضيقة، لا نكاد نلمس من خلالها كبير الأثرفي التصور الجماعي، الشيء الذي جعل مرجع هذه المرأة مرجعا تراثيا ثقافيا بالأساس، وهو ما وصم انتاجها بالضعف والاستكانة للعرف والمألوف. ويبقى السؤال المطروح: لماذا وبعد هذه المدة الطويلة من الانتاج الثقافي للمرأة الموريتانية مازلنا غيرقادرين على محو الصور النمطية للمرأة من ذاكرة الوجدان الجماعي؛ إذ ما نزال غير قادرين على رؤية صورة تلك المرأة الحرة، عقلا وفكرا، إلا عبر شقوق المشهد الثقافي العام .

لائحة المصادر والمراجع

- ابن الأمين أحمد (الشنقيطي)، **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، مكتبة الخانجى، ومؤسسة منير، ط4، القاهرة، 1989
- ابن الشيخ ماء العينين الشيخ (محمد الإمام)، **الجأش الربيط: في النضال عن مغربية شنجيط** وعربية المغاربة من مركب وبسيط، ط 1، مطابع حزب الاستقلال، 1957 .
- ابن المحبوبي(محمذن)، «المرأة الشنقيطية ونوزازل الزينة والبدانة، وقفة مع المنحنى الاجتماعي في التوجه الإفتائي»، **مجلة الوسيط**، ع 14، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 2015.
- ابن حامدن(المختار)، **موسوعة حياة موريتانيا**، ج2، الحياة الثقافية،الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1990.
- ابن يابة أحمد كوري (السالكي)، « مكانة المرأة المرابطية في مجتمع الدولة»، **مجلة الوسيط**، المعهد الموريتاني للبحث العلمي ع، 14، انواكشوط 2015.
- بنت اسنيد(السالكة)، **الشعر النسائي الشنقيطي القديم**، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة شنقيط العصرية، انواكشوط،2008/2007.
- بنت عبد الله (أغل)، **المرأة الموريتانية بين أسر التقليد ورياح التغيير**، بحث لنيل "الاجازة المتريز" المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، أنواكشوط، 1995-1996.
- بنت ميلود (حواء)، **المرأة الموريتانية بين ثنائية الاتفاق والاختلاف**، المطبعة الوطنية، انواكشط، 2002.
- بوز نكاض (محمد)، **التواصل بين بلاد البيضان والمشرق العربي خلال القرنين 19 و20**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014.
- الجراري (عباس) ، **ثقافة الصحراء الثقافة**، الدار البيضاء، 1978.
- الحسين (حديدي)، **الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيظاني خلال القرنين 18 و 19م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2014.
- الشيخ سِيديَّ (الإنتشائي)، **رسالة في حكم تعليم البنات**، مخطوط موجود في مكتبة هارون الشيخ سيدي، حققه، محمد بن سيدي يحيى، معهد ابن عباس، 1990، انواكشوط، .
- الفاضلي(فرح)، **الذكورة والأنوثة في القرآن الكريم**، ط1، بيروت، 2018،
- المرنيسي (فاطمة) ، **أحلام النساء الحريم**، ترجمة ميساء سري، ط1، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق،1997.
- النحوي (الخليل)، **بلاد شنقيط المنارة والرباط**، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،.1987
- وحيدة (بورغدة) وآخرون، **المرأة العربية من العنف والتمييز إلى المشاركة السياسية**، سلسلة كتب المستقبل،(70)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2014.

- ولد الحسين (الناني)، **صحراء الملثمين**: دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الأقليمى، خلال العصر الوسيط، ط1، دارالمدار الإسلامي، بيروت، 2007.
- ولد عبد الحي(محمد)، **الجذور التاريخية للثقافة النسائية**، فعاليات الندوة حول الثقافة النسائية في موريتانيا، وزارة الثقافة، يوليو 15–16، أنواكشوط 2001.

- Aidera (Cheikh), «la emme mauritanienne et l'histoire», **journal** Nouakchott .
- Beauvoir (Simone), **Teh second se: the woman as other**, Vintag Classics, New York, 1997.
- Caillé(René), **Travels through Cental Africa to timbuctoo,** and Across the Great Desert,to Morocco,performed in the years,(1824-1828),Cambridge University,England, 2013**.**
- Fall (Aly), « la Femme dans le système juridico-économiqu Mauritanie », **Revue Tunisienne de Droit**, Nouakchott , 1998, p. 159-161.
- Old hamody (Mohamed-said), «La femme Mauritanie», **Travson apport à l'héritage traditionnel**, Nouakchot, 2000